منهج محمد باي بلعالم في تقريب القضايا النحوية لطلاب العربية
قراءة واصفة في جهوده النحوية

The Approach of Mohammed Bay Bellalem to Simplify Grammatical Issues for Students of Arabic. A Descriptive Study of his Efforts as a Grammarian

د . منيربدوي1،*

1المدرسة العليا للأساتذة . العلمة . سطيف، (الجزائر)، m.bedoui@ens-setif.dz

تاريخ الإيداع: 2024/01/18 **تاريخ المراجعة**: 2024/05/22 **تاريخ النشر**: 2024/06/30

ملخص:

يُعتبَر الشيخ محمد باي بلعالم من العلماء المغاربة الذين أسهموا في إثراء المكتبة النحوية، وبهدف تبَيُّنِ حدود الاتجاه المغربي في النحو جاءت هذه القراءة في منهج تأليفه لآثاره النحوية.

.تُرى ما المنهج الذي سار عليه في آثاره النحوية؟ ما مضامينها ؟ وما مصادرها ؟

.هل كان الشيخ باي مقلدا لسابقيه عموما ولنحاة المغرب خصوصا أم كان مجددا؟

.وإن كان مجددا ففيمَ جدد؟

أحاول في هذه القراءة الواصفة الوقوف على أهم معالم منهج الشيخ باي في جهوده النحوية سواء على ما شاع في كل جهوده أو على ما خص في بعضها من حيث تناوله المادة العلمية، ومن حيث مضامينها ومصادرها.

(ملاحظة: يكون الملخص مركز وشامل لأهم محتويات المقال، دون التطرق للتفاصيل الدقيقة، فيه يركز الباحث على هدف البحث أي الغاية منه (مشكلة البحث المطروحة)، ومنهجية العمل المتبعة والأدوات المستخدمة فيه. (لا يجب أن يتعدى الملخص كاملا حدود 140 كلمة).

الكلمات المفتاحية: القراءة الواصفة، المنهج، الشروح، الآثار النحوية.

Abstract

Sheikh Mohammed Bay Bellalem is one of the Maghrebian scholars whose contributions have significantly enriched the grammatical studies of Arabic. This paper aims at examining the Maghrebian grammatical approach embedded within his academic works. So, what is the content of his grammatical works? What are the sources and the methodology used? Did Sheikh Bay follow his predecessors in that field, in the Maghreb particularly, or was he an innovator? In the present descriptive study, we try to point out the most important characteristics of Sheikh Bay's method as a grammarian, including both general aspects and those specific to the subject matter and the sources used.

***Key words**: descriptive study; approach; explanations; grammatical works.*

*المؤلف المراسل.

تقديم:

يرى كثير من الدارسين أن النحو مدارس متنوعة، وإن أقرَّ بعض المحدثين منهم باستقلال مصر والشام بمدرسة نحوية لها سمت خاص، فبعضهم الآخر يقر باستقلال المغرب العربي بمدرسة أخرى أيضا، كيف لا وهم أصحاب المتون و المحاضر و الرباطات. والتيسيرات. فهل يمكن تَبَيُّنُ مميزات المدرسة المغربية من خلال دراسة الجهود النحوية لأعلامها ودارسيها وبخاصة الجهود غير الرسمية منها ؟

وحين تتتبع آثار الشيخ محمد باي(ت 1430ه) النحوية تجد نفسك أمام عالم ملمٍ بجِل القضايا النحوية ودقها، كيف لا وهو الفقيه، والأصولي والمحدث واللغوي، والنحوي، والفرضي والمنطقي، فلا غرو إذن أن نجد له منهجا خاصا وطريقة محددة في تناوله المسائل النحوية.

تُرى ما معالم منهجه في تناول المسائل النحوية؟ هل كان الشيخ باي مبدعا في منهجه أم كان مرددا لما حفظه ووعاه؟ و إن كان مُحْدِثا فيما تناول، ففيم جدد؟ وهل يمكن الاستفادة من هذا التراث في مدارسنا الرسمية؟

ولتبيان هذا المنهج وتوضيح هذه الطريقة أحاول قراءة آثاره النحوية قراءة واصفة لأهم معالمها، من خلال تتبع ما اشترك من مميزات وخصائص في منهج تناوله لها، تاركا ما انفرد به أثر دون آخر لمقال آخر بحول الله.

أولا : من هو الشيخ محمد باي بلعالم؟

هو أبو عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بن احمد العالم القبلوي الجزائري المعروف بالشيخ باي، يعود نسبه إلى قبيلة "حمير" القبيلة العربية المشهورة باليمن، ولد عام 1348 هـ الموافق لـ1930م في قرية " ساهل " ببلدية أقبلي بدائرة أولف بولاية إدرار بالجنوب الجزائري.

بدأ تعليمه بدراسة القران الكريم على يد المقرئ الشيخ محمد بن عبد الرحمن المكي بن العالم و تلمذ على يد والده في المبادئ النحوية والفقهية، انتقل إلى زاوية الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي بسالي برقان ليدرس الفقه المالكي، وأصوله والنحو والفرائض والحديث والتفسير.تولى التدريس بأولف بعد عودته لها أين أسس مدرسة مصعب بن عمير الدينية . وأصبح بصفة رسمية إماما لمسجد أنس بن مالك منذ سنة 1964 للميلاد.

أُجيز الشيخ من كبار العلماء داخل الوطن وخارجه منهم شيخه مولاي أحمد الطاهري (ت 1979م)إجازة عامة، والسيد الحاج أحمد الحسن في الحديث النبوي والشيخ علي البوديلمي (ت 1988م)، والفقيه الجزائري عبد الرحمان الجيلالي (2010م)، والعلامة اللبناني زهير الشاويش (ت 2013م)، وغيرهم.

للشيخ آثار عديدة مست علوما شتى كان الحظ الأكبر فيها لعلم الفقه بأربع عشرة أثرا[1] ، وعلم النحو بستة آثار، وعلم الفرائض بخمسة آثار، وعلوم القرآن ، وأصول الفقه بأثرين لكل منهما، ومصطلح الحديث والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والتراجم بأثر واحد لكل علم، وله في الشعر قصائد متنوعة الأغراض

عُرف الشيخ بمحامد الصفات ومكارم الأخلاق من كرم وتواضع ونصح لولاة الأمر، وطيب السريرة ؛ لأنه القائل لابنه قبل وفاته بساعات إني عاف عن كل من ظلمني.

انتقل إلى الرفيق الأعلى بكرة يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني من سنة ثلاثين وأربعمئة هجرية الموافق للتاسع عشر من أفريل من السنة التاسعة بعد الألفين (1430هـ.2009م).

شيعت جنازته بحضور رسمي للسلطات العليا في البلاد، وبحشد جماهيري غفير من عائلة الشيخ ومحبيه.

ثانيا : جهوده النحوية.

للشيخ في هذا العلم آثار تنوعت بين منظومة وشروح لمنظومات أنبأت على سعة اطلاعه وحذقه في هذا الفن، بُرمج بعضها على طلاب مدرسة مصعب بن عمير الدينية التي يشرف هو على إدارتها، وهي:

01. الرحيق المختوم لنزهة الحلوم.

مؤلَّف من النوع المتوسط ذو ثماني عشرة صفحة و مئة (118 ص)، وهو شرح لمنظومة الشيخ محمد بن أبَّ المزمري (160 ه) في النحو و المكونة من أربعين ومئة بيت(140بيتا) على بحر الرجز، عالج فيها أربعة وعشرين (24) بابا طبْيع بمطابع دار الشهاب بباتنة. الجزائر، من دون رقم للطبعة ومن دون تأريخ.

02 ت اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم.

وهو نظم للشيخ باي نفسه من بيتين ومئتي بيت (202 بيتا)من بحر الرجز غطى فيها الشيخ اثنين وعشرين بابا نحويا التزم فيه بمتن ابن آجروم (ت 723ه) المنثور التزاما شديدا.

03. كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم.

كتاب من الحجم المتوسط، شرح فيه منظومته النحوية لمتن ابن آجروم الصنهاجي (ت 723ه).طبع بمطابع دار الشهاب بباتنة. الجزائر دون رقم الطبعة أو التاريخ.

04. عون القيوم شرح على كشف الغموم نظم على مقدمة ابن آجروم .

وهذا الكتاب مازال مخطوطا في مكتبة الشيخ.

05. التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة.

كتاب من الحجم المتوسط، ذو ثلاث وخمسين صفحة (53 ص) شرح فيه الشيخ منظومة نحوية للشيخ محمد سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي (1354ه) [2] تناول فيها سبع عشرة بابا نحويا. طبع بمطابع دار الشهاب بباتنة. الجزائر، من دون رقم للطبعة أو التاريخ.

06. منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب:

كتاب من النوع المتوسط، ذو اثنتين وستين صفحة ومئة (162 ص)، شرح فيه الشيخ باي نظم أبي محمد القاسم الحريري (516 ه) الذي غطى فيه ثمانية وخمسين (58) بابا نحويا.طبع بدار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة. الجزائر، دون رقم للطبعة، سنة 2001.

ثالثا. منهجه في جهوده النحوية:

درج الشيخ في شروحه على البدء باختيار مقطوعة من المتن تمثل غالبا مقدمة الكتاب أو تغطي بابا نحويا أو بعض مسائله إن كان الباب متفرعا.

فمما جاء في تناول المقدمات مايلي:

حَمْـــداً لِمَـــنْ شَـــرَّفَنَا بِالمُصْـــطَفَى وَ بِاللِّسَـــانِ الْعَرَبِـــيِّ أَسْـــعَفَا

ثُـــمَّ عَلَـــى أَفْصَـــحِ خَلْـــقِ اللهِ وَ آلِـــهِ أَزْكَـــى صَـــلاَةِ اللهِ

يـــا طالبـــاً فـــتحَ رتـــاجِ العلـــمِ و قاصـــداً ســـهلَ طريـــقِ الفهـــمِ
اِجْـــنَحْ إِلَـــى النَّحْـــوِ تَجِـــدْهُ عِلَّمَـــا تَجْلُـــو بِـــهِ الْفَهْـــمَ الْعَـــوِيصَ الْمُبْهَمَـــا
وَ هَـــــاكَ فِيـــــهِ دُرَّةٌ يَتِيمَـــــة أَرْجُـــو لَهَـــا حُسْـــنَ القبُـــولِ قِيمَـــة[3]

ويتناول المادة قيد الشرح ، وفق مايلي :

01. استهلاله بمقدمة يضمنها :

أ. سببَ التأليف :

ما يلفت انتباهك في مستهل شروح الشيخ باي ذكره لسبب تأليف الشرح أو المصنف، من ذلك ماجاء في مقدمة شرح الدرة اليتيمة، وهو قوله : " .... وقد قد طلب مني بعض الإخوان أن نضع شرحا على الدرة اليتيمة في النحو لظنه أني أهل لذلك و الله أعلم بما هنالك فاستخرت الله و استعنت به....و كنت عند رغبة الطالب نازلا " [4]

وقال عنه في نزهة الحلوم : " و هذه المنظومة أيضا كانت معروفة له، وموجودة في الخزائن العلمية، ولكن مع ذلك لم يوجد لها أي شرح من طرف علماء توات و لا غيرهم .... فحملتني الغيرة الدينية و الأدبية أن أضع شرحا على هاته المنظومة " [5]

وذكره أيضا في شرحه لنظمه اللؤلؤ المنظوم بـ : " ...قد طلب مني بعض الإخوة الأصدقاء وضع تعليق على منظومتنا اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم ، ولم نر بدا من النزول عند رغبته، وتحقيق أمنيته سائلا من الله التوفيق و الهداية " [6]

ب. التسمية

بعد أن يذكر الشيخ سبب التأليف يثني في مقدمته بتسمية المؤلّف، من ذلك : " ...و سميته التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة ". [7] و "... و سميته:الرحيق المختوم لنزهة الحلوم على نظم مقدمة ابن آجروم " [8] و " ... وسميته كفاية المنهوم على اللؤلؤ المنظوم جعله الله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم "[9] و " فاستعنت برب الأرباب و و سميته " منحة الأتراب على ملحة الإعراب" [10]

دأب الشيخ باي على السجع في عناوين كتبه على عادة القدامى، إلا أن ما يميز عنونته هو قوة العبارة وجزالتها مع مراعاتها الفاصلة الموسيقية من ذالك: " التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة "، والتحفة ما اتحف وابهج ناظره، وهو منفرد عن غيره، والوسامة الجمال، وكأن ينتقي مما يعرف مايتحف عقل القارئ من نوادر جميلة. واللؤلؤ المنظوم على منثور ابن آجروم، وفيه إيحاء إلى غلاوة وقيمة ما يُقدم لأنه لؤلؤ، غير متناثر منظم منضوض. أما شرحه لنظمه فهو ما يغني ويكفي النهم المستزيد من المعرفة.

ج. اسمَ الماتن

ومما يحرص عليه الشيخ في مقدماته أيضا ذكر اسم الماتن كاملا ناظما كان أم ناثرا و أحيانا يضيف نبذة عنه، من ذلك ، ماجاء في التعريف بابن أبَّ : " وهو العالم النحرير، والقدوة الشهير محمد بن أب بن حميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري، عاش في القرن الثاني عشر للهجرة، وكان مسقط رأسه بقرية أولاد الحاج بأولف

بجوار قصر أخنوس؛ ثم أنه جال في توات ، وفي إفريقيا السوداء من مميزاته أنه ابتكر بحرا شعريا سماه المضطرب نظم فيه قصيدة في مدح الرسول ﷺ " [11] وفي منحة الأتراب أورد " والقائل هو الإمام أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي، كان أحد أئمة عصره، وله تأليف حسان منها : درة الغواص في أوهام الخواص، ومنها هذه المنظومة الملحة: .... " [12] . أما الدرة اليتيمة فأورد أنه لم يتعرف على ناظمها[13].

2. شروعه بالتعريفات اللغوية لمفردات البيت:

ينطلق الشيخ باي في شروحه من مظنة أن المتلقي خالي الذهن مما سيقدمه له، لذا يحرص على البدء بأبجديات التعريفات، وهي التعريفات اللغوية، من ذلك، " (حمدا)، مصد رحمة الله تبارك وتعالى"، "(الذي شرفنا) والشرف العلو يقال شرفه الله تشريفا"، و " (المصطفى) اسم من أسمائه ﷺ " " (باللسان العربي) الذي هو لغة القرآن المنزل على سيدنا محمد"، قوله " (أسعفا) المساعفة المواتاة والمساعدة "، و(زكى) نما" و(أزكى) أفعل تفضيل" ، و "(رتاج) بالكسر ومنه رتاج الكعبة الباب المغلق وعليه باب صغير"، و"النحو في اللغة بمعنى القصد، تقول نحوت كذا نحوا أي قصدته قصدا"، "تجلو" أي توضح والمعنى العويص هو ما يصعب استخراج معناه" ، " (هاك) اسم فعل أمر بمعنى خذ"، و" (الدرة) اللؤلؤة والجمع در ودرات ودرر"، " (يتيمة) أي عديمة النظير"... " (قيمة) واحدة القيم من قولك قوم السلعة تقويما" .[14]

.لا يكاد الشيخ يترك لفظة من ألفاظ البيت إلا شرحها شرحا لغويا

3. إيراده التعريفات الاصطلاحية للمصطلحات النحوية:

بعد أن يذكر الشيخ التعريفات اللغوية لمفردات البيت يورد كل ما يفيد في تجلية المعنى من التعريفات الاصطلاحية، من ذلك : ، "(الحرف) وهو كل كلمة دلت على معنى في غيرها ولم تتعرض بصيغتها للزمان"[15]

والملاحظ هنا أمران:

.حرصه الشديد على الإتيان بالتعريفات الاصطلاحية لمفرات البيت ما كان ذلك ممكنا.

. أن إيراد الاصطلاح لم يتوقف على علم النحو فحسب بل تعداه إلى علوم الشريعة، وهذا خدمة للمعنى وتجلية له، من ذلك: " والحمد هو الثناء بالجميل على الجليل... و" الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين دعاء وتضرع"[16]

4. تقديم المعنى العام.

وبعد التعرف على مفردات البيت من حيث اللغة والاصطلاح يقدم المعنى العام لما يشرح وله فيه عدة طرق، فتارة يلتزم بما جاء في البيت الواحد، وتارة يقدم ما يستغرقه المعنى من أبيات أي : بيتين أوثلاثة أو أكثر، مستخدما في ذلك لفظة (يعنى) أو كلمة (والمعنى) أو (أي) ومن ذلك : " والمعنى يامن طلب قتح باب العلم وقصد الطريق السهلة إلى الفهم أي الادراك، اجنح، أي مل إلى علم النحو " [(17)]

5. التمثيل لما يشرح :

يكثر الشيخ من التمثيل في شروحه، وفي مختلف الأبواب من ذلك :

.ما جاء في علامات الاسم، وهو قوله : " ومما به الاسم عرف دخول حرف النداء أو كون الكلمة مناداة نحو ياأيها الرجل ويا أيتها المرأة، ومما يعرف به الاسم دخول (أل) عليه، أي الألف و اللام الزايدتان على أصل الكلمة، وقد جمعها بعضهم بقوله :[18]

الخَيْلُ وَ اللَّيْلُ وَ البَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَ السَّيْفُ وَ الرُّمْحُ وَ القِرْطَاسُ وَ القَلَمُ"[19]

.ما جاء في لا النافية للجنس وهو قوله :" قال في الأصل فإن تكررت لأجاز إعمالها وإلغاؤها، فإن شئت قلت : لا رجل في الدار، ولا امرأة وإن شئت قلت : لا رجل ولا امرأة، والحاصل أن لك في الثاني عند إعمال لا الأولى ثلاثة وجوه: الرفع والنصب والفتح ، وعند إلغائها وجهين الرفع والفتح فهذه الخمسة وجوه، فلك أن تقول في لا حول ولا قوة إلا بالله : فتح الأولى والثاني، ورفع الأولى والثاني، وفتح الأولى ورفع الثاني، ورفع الأول و فتح الثاني وفتح الأول ونصب الثاني، و إن رفعت أولا لا تنصب الثاني" [20]

6. استشهاده بالقرآن الكريم:

وهو ما أكثر منه الشيخ، حتى يخيل إليك أنك تطالع كتاب شريعة لا كتاب نحو لكثرة استشهاده بآي الذكر الحكيم، من ذلك:

.ما جاء في باب جمع المذكر السالم، في حديثه عن الملحق به، وهو قوله : " ...كذلك ما ألحق بهذا الباب ، قال تعالى : ﴿وَأُولُواْ اَلارْحَامِ بَعْضُهُمُ أَوْلى بِبَعْضٍ﴾[21] ، وهو جمع بمعنى أصحاب "[22].

7. استشهاده بالحديث النبوي:

استشهاد الشيخ باي بالحديث النبوي لم يكن كثيرا كالقرآن الكريم، من ذلك :

.ما جاء في مقدمة التحفة، وهو قوله : " .وما جاء في الحديث عن الحال، وهو قوله : " وغالب الحال أن يكون منتقلا مشتقا، أو في حكمه، وقد لا يكون ، فمن ذلك قوله ﷺ ؛ (أحيانا يتمثل لي الملك رجلا) فرجلا منصوب على الحال ، وليس من المشتق و لا في حكمه" [23]

وهو من صميم الاستشهاد على القاعدة النحوية.

.ومن ذلك أيضا ما أورده في معاني (في) بأنها بمعنى بسبب، وهو : " ومنه حديث الرسول ﷺ (دخلت النار امرأة في هرة حبستها....) أي بسبب هرة" [24]

وهو ما يعرف عند النحاة بتعاور حروف الجر، وهو باب نحوي لا يُدرك إلا بالنَّكْت.

. وفي باب الفعل المبني للمجهول، أورد قوله: "...أي المفعول الذي لم يسم فاعله (ظاهرا)....وقوله ﷺ (نُصِرْتُ بِالصِّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُور)" [25]

.كما أورد حديثا شاهدا على جواز الاستثناء بليس ، وهو قوله : "و في الحديث (مَا أَنْهَرَ الدَّمَ و ذُكِرَ اسمُ اللهِ عَلَيهِ فَكُلُوا لَيْسَ السِّنَّ وَ الظُّفْرَ)" [26]

وعموما ما كان الشيخ باي مكثرا من الاستشهاد بالحديث النبوي، فقد نحا نحو النحاة القدامى على الرغم من أن ما يميز النحاة المغاربة هو استشهادهم بالحديث النبوي على القاعدة النحوية. مع ملاحظة أن الشيخ أورد العديد من الأحاديث النبوية إما لتوضيح معنى أو للتدليل على رأي.بالرغم من أنه يستطيع الاستدلال بالحديث على القاعدة.

8 استشهاده بألفية ابن مالك الطائي(ت، 672 هـ) :

مما طغى وكثر أيضا في شروح الشيخ باي الاستشهاد بألفية ابن مالك، فهو كثير وكثير جدا، وهو ما يحيلنا إلى النزعة التعليمية له، وهو ما يستوجب تبسيط قضايا النحو. من ذلك:

. استشهاده بـ: " (فعل مضارع يلي لم كيشم)" [27] في باب الفعل المضارع وعلاماته.

وهو عجز بيت من قول ابن مالك:

سِـــوَاهُمَا الْحَـــرْفُ كَهَـــلْ وَفِـي وَ لَـــمْ فِعْـــلٌ مُضَـــارِعٌ يَلِـي لَـــمْ كَيَشَـــمْ [28]

* الملاحظ أنك لا تجد بابا ولا فصلا، ولا موضوعا إلا وضُمن بيتا أو شطره، أو بيتين أو أكثر من الألفية. وتضمين شطر فقط من بيت الألفية يوحي بأن بعض المؤلفات موجهة لجمهور معين وهو رواد مدرسة مصعب بن عمير الدينية.

9. استشهاده بالشعر العربي:

وللشعر في شروح الشيخ باي حضور لافت، به يؤسس للقاعدة ويدلل عليها وعلى شواذها، مدركا ماهية الشاهد ومحل الاستشهاد، من ذلك :

ـ ما أورده في مقدمة التحفة عند الحديث عن تنوين الترنم بقوله : " والخامس تنوين الترنم وهو اللاحق للقوافي نحو قول الشاعر :

(أقل اللوم عاذل و العتابن)" [29] ، وهو شطر بيت لجرير بن عطية من بحر الوافر:

أَقِلِّـــي اللَّـــوْمَ عَـــاذِلَ و العِتَـــابَنْ وَقُـــولِي إِنْ أَصَـــبْتُ لَقَدْأَصَـــابَنْ [30]

10. كثرة أعاريبه وتنوعها :

كثرت أعاريب الشيخ باي وتنوعت فيعرب الشاهد النحوي بأنواعه تارة، و يعرب المثال المسوق في الشرح، تارة أخرى، ويعرب النظم مرة، وأمثلته مرة أخرى، من ذلك:

. من إعرابه الشاهد النحوي القرآني ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ﴾ [31] قوله : " فما استفهامية مبتدأ أول مبني ، أدراك خبر الأول، ما عليون : ما مبتدأ ثاني، عليون خبره مرفوع بالواو نيابة عن الضمة" [32]

ومن إعرابه الشاهد الشعري :

وَ إِنَّـــكَ إِذْ مَـــا تَـــأْتِ مَـــا أَنْـــتَ آمِـــرُ بِـــهِ تَلْـــفَ مَـــنْ إِيَّـــاهُ تَـــأْمُرُ أتِيَـــا

" الواو حسب ما قبلها ، و أن حرف توكيد ، ونصب تنصب الاسم وترفع الخبر ، والكاف اسمها مبني على الفتح في محل نصب ، وإذ ما حرف شرط جازم ....تأت : فعل مضارع مجزوم على أنه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف الياء و الكسرة قبلها دليل عليها ، والفاعل مستتر وجوبا تقديره أنت ، وما اسم موصول بمعنى الذي مفعول به و تلف فعل مضارع مجزوم على أنه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف الياء و الكسرة قبله دليل عليه" [33]

.ومن إعرابه المتون التي يشرحها قوله في :

وَ لاَ يُحَــوِّلُ حُكْمَــهُ مَتَــى دَخَــلْ لَكِــنْ عَلَــى جُمْلَتِــهِ وَهَــلْ وَبَــلْ

" ولا يحول حكمه متى دخل " لا : نافية . يحول : فعل مضارع . حكمه : مفعول مقدم. لكن : فاعل دخل .. وهذه الجملة مؤولة بفاعل يحول تقدير الكلام و لا يحول حكم المبتدأ دخول لكن على جملته وهل و بل ويحتمل أن يكون حكمه فاعل يحول" [34]

.ومن إعرابه أمثلة المتون، ما جاء في باب المثنى، وهو قوله : "

نَحْــوَ اشْــتَرَى الزَّيْــدَانِ حُلَّتَــيْنِ كِلْتَاهُمَــــا لاثْنَــــيْنِ وَ اثْنَتَــــيْنِ

اشترى : فعل ماض و الزيدان : فاعل مرفوع بالألف نيابة عن الضمة و (حلتين) مفعول به منصوب بالياء نيابة عن الفتحة ، (كلتاهما) مبتدأ مرفوع بالألف نيابة عن الضمة ، (لاثنين) جار ومجرور مخفوض بالياء نيابة عن الكسرة (و اثنتين " معطوف عليها)"[35]

من إعرابه الأمثلة المعروفة قوله :" خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها . فـ (الزرافة) مفعول بخلق، و(يديها)بدل بعض من كل . أطول : حال من يديها ن وهي لازمة لأن كون رجليها أطول من رجليها لازم لها" [36].

.ومن إعرابه الأمثلة التي ساقها للشرح : "...جاء أخوك، وإعرابه: جاء فعل ماص، أخوك فاعل و الفاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة"[37]

لم يكتف الشيخ باي بتنويع الأعاريب بل نوع في مواضعها من الشروح ، فنجدها مستهل الباب أحيانا كما نجدها وسط الشرح، وغالبا ما يوردها في نهاية الباب أو الفصل، وفيه إشارة منه إلى ضرورة ممارسة الإعراب تطبيقا للقواعد والتي ستُنسى إذا لم يطبق عليها.كما نلمح مهارة الشيخ في فنون النحو من إتقانه لصناعة الإعراب ودرايته بخفايا القضايا النحوية من خلال ماتقدم من كثرة الأعاريب.

11 جنوحه لإيراد تلخيصات لبعض المسائل في أبيات

من منهجه رحمه الله، ميله الشديد لإيراد تلخيصات للمسألة بما يحفظ من أبيات كلما كان ذلك ممكنا، وهو ما يعضد النزعة التعليمية له الميَّالة إلى التيسير وتلخيص القضايا، من ذلك ما أورده عن علل المنع من الصرف وهو قوله : " و قد نظمها بعضهم فقال :

عَــدْلٌ وَوَصْــفٌ وَتَأْنِيــثٌ وَمَعْرِفَــةٌ وَعُجْمَــــةٌ ثُــــمَّ جَمْــــعٌ تَرْكِيــــبُ

وَنُــونٌ زَائِــدَة مِــنْ قَبْلِهَــا أَلِــفْ وَوَزْن فِعْــل وَهَــذَا الْقَــوْلُ تَقْريــب" [38]

12 تصريحه بمصادر مادته

من الأمور التي دأب عليها الشيخ تصريحه بمصادره، سواء كتبا أم أعلاما فمن المصادر: الجمل للزجاج، مختار الصحاح، روح المعاني للألوسي[39]، ومن الأعلام نجد الفراء، سيبويه، ثعلب، الكسائي المبرد، والمكودي[40]وهو ما يدلل على أمانته العلمية العالية.

رابعا : خاتمة ونتائج

شرح المفردات اللغوية كلمة كلمة، وتقديم المصطلحات النحوية فتقديم المعنى العام للمقطوعة قيد الشرح، فالتفصيل بالاستشهاد والتمثيل والإعراب، ثم التنبيه إلى الفوائد ومكملات الباب، وتلخيص الأهم المتناول في بضعة أبيات، هي ملامح منهج الشيخ باي في تناول القضايا النحوية.

ومن هذا المنطلق يمكن ملاحظة مايلي:

1 . منهج الشيخ في شروحه، واختياره له ينم عن حس تعليمي مرهف إذ بهذا المنهج لامس مستويات متعددة من الأفهام؛ لأنه وببساطة سار على مبدإ من أهم مبادئ التعليمية ألا وهو السير من العام إلى الخاص، كما زاوج بين النظري والعملي وهو مبدأ آخر من مبادئ التعليمية ، ولا يستطيع ذا إلا ماهر متقن.

2. التجرد للحقيقة العلمية من خلال استدراكاته المختلفة، سواء على آرائه، أو حتى على آراء أشياخه، وانتخابه ما يوافق منهجه من آراء المدارس النحوية، والأمانة العلمية من خلال تصريحه بمصادر مادته، صفات خاصة نستشفها من خلال منهجه.

3 . بين التقليد والتجديد يمكن تصنيف الشيخ باي، فهو مقلد في مضامين الأبواب والموضوعات والمسائل، و مجدد في طريقة تناوله لها، إذ عزف عن الجدالات السفسطائية المنطقية الافتراضية العقيمة والتي وعصت النحو وأبعجته كما يحمد له إكتفاءه بما يخدم الدارس من العلل، وهو ملمح تداولي من ملامح النظرية التواصلية، أو هو مدخل من المداخل الحديثة في تدريس اللغة.

4 . يمكن الحكم بصدق الصورة التي يمثلها منهج الشيخ باي ضمن الخط العام للاتجاه المغربي في النحو، أو الدرس النحوي المغاربي . كما يسميه يعض الدارسين . إذ زاوج بين الطي والنشر بحسب الموضوع المشروح، وانتخب من مصطلحات المدرستين. وأورد تلخيصات الأبواب في ما يمكن حفظه من أبيات شعرية قليلة العدد تحت مظلة شرح المنظومات، وهذا لعمري ما يميز الدرس النحوي المغربي أو المغاربي عن بقية المدارس النحوية.

5 . لابد من الوقوف عل ميزة إكثار الشيخ باي من الأعاريب على اختلاف مضامينها، لاستنطاقها بمدلولين:

أحدهما : . لا كبير أهمية للقواعد النحوية مجردة من التطبيقات.

ثانيهـما : إعطاء صورة ميسرة للتطبيقات النحوية من خلال كثرة الممارسة، وكأنه أراد القول بيسر النحو من خلال الممارسة.

6 . وبصفتي مدرسا للغة العربية لأزيد من 30 سنة يمكنني القول أنه يمكنا الاستفادة من تراث الشيخ باي في منظومتنا التعليمية، كيف لا ونحن نسمع أراجيز أتحفة ا أطفال والجزرية في حكام التلاوة يرددها أطفال الروضات بإتقان و إحكام.

7 . على الدارسين وأسرة الشيخ والسلطات واجبات تجاه الشيخ، منها :

أ : على الدارسين إعادة تحقيق تراث الشيخ وبعثه في حلة جديدة حتى تتسنى لمتعلمي النحو الاستفادة منه، فالهيئة التي هو عليها الآن لا تفي بالغرض من تأليفها، (رداءة في الطبع، بتر للأبيات والآيات، لا تفريق بين فقرة وأخرى .....).

ب .كما على الدارسين إعادة دراسة تراث الشيخ بآليات عصرنا .كالأبعاد التداولية مُثلا، ونظريات تحليل الخطاب، واللسانيات التطبيقة، وغيرها.

ب : على أسرة الشيخ أ لا يضنوا بتراث الشيخ على الدارسين الجادين، فإن فيه الخير العميم.

ج .على السلطات وذوي الشأن تسهيل إعادة طبع تراث الشيخ، وإلا ضاع واندثر.

اللهم ارحم شيخنا وجازه عنا خير الجزاء.

هوامش وإحالات المقال

1 ينظر في تبرير ذلك : إبراهيم بن ساسي، قراءة في مؤلفات الشيخ محمد باي بلعالم رخمه الله بحيرة علم زاخرة بالكنوز واللآلئ، جريدة **البصائر**، الجزائر، ع 452، الإثنين 14-20 رجب 1430هـ / 13-19 جويلية 2009، ص18.

2 متون النحو و الصرف والإعراب،جمع و ضبط الأستاذ محمد بوزواوي، دار مدني، الجزائر، 2003م، ص157 .

3 التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي .باتنة .الجزائر،دط، دت ، ص 03، وينظر على سبيل المثال الصفحات : 22،19،10، 38، 42، 51، والصفحات : 10، 27، 38، 52، 80 من كتاب الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، مطبعة دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دط، دت. والصفحات: 9، 26، 32، 43، 58من كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، محمد باي بلعالم، دار الشهاب، باتنة.الجزائر، دط، دت ، والصفحات : 09، 14، 20، 28، 29من منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب،محمد باي بلعالم، دار الشهاب باتنة. الجزائر، دط ، دت

4 التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص 4.

5 الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص05 .

6 كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم،محمد باي بلعالم، ص03.

7 التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص 10

8 الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص05 .

9 كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم،محمدباي بلعالم، ،ص03.

10 منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب،محمد باي بلعالم، ص 02.

11 الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص05 .

12 منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب،محمد باي بلعالم، ص 02.

13 التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص 3

14 ينظر : التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص4 و 05.و الصفحات : 11، 19، 24، 45، 46، وينظر الصفحات: 12، 24، 27، 42، 43 من كتاب الرحيق المختوم، والصفحات: 4، ، 12، 23، 39، 81 من كفاية المنهوم، والصفحات : 05، 10، 12، 20، 44 من منحة الأتراب.

15 كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، محمد باي بلعالم، ص12، وينظر الصفحات : 58، 62، 65، 73، 81، 87 وينظر أيضا الصفحات27، 39، 42، 61، 66، 67 من الرحيق المختوم، والصفحات: 14، 22، 24، 25، 38 من التحفة الوسيمة: والصفحات 20، 21، 27، 30، 31 من المنحة.

16 التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص 4

17 التحفة، ص04، وينظر الصفحات: 05، 07، 14، 25، وينظر الصفحات: 78، 77، 74، 63، 60 من الرحيق المختوم، والصفحات: 50، 51، 78، 102 من الكفاية، والصفحات : 30، 33، 42، 70، 82 من المنحة.

18 التحفة الوسيمة، ص 08، وينظر الصفحات: 15، 18، 19، 22، ويتظر الصفحات: 88، 102، 103، 107، 113من الرحيق المختوم، و الصفحات: 18، 19، 23، 24، 104.من المنحة.

19 ديوان المتنبي،اعتناء وشرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت .لبنان، ط5، 2008م، ص 256 .

20 كفاية المنهوم، محمد باي بلعالم، ص107، وينظر الصفحات: 23، 27، 96، 107، 113

21 الأنفال، الآية:75.

22 التحفة الوسيمة، محمد باي بلعالم، ص21، وينظر الصفحات : ، 18، 29، 30، 44 ، 45، و ينظر الصفحات: 20، 21، 27، 48، 50 من الرحيق، والصفحات : 20، 104، 106، 111،107 من الكفاية، والصفحات: 37، 38، 39، 41، 45 من المنحة.

23 الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، ص 97.، وينظر التحفة، ص 11

24 الرحيق المختوم لنزهة الحلوم ، ص 18وينظر الصفحات 97،11

25 كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، محمد باي بلعالم، ص61، وينظر الصفحات 17، 20.

26 منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، ص 83 .وينظر الصفحات 19، 08، 37.

27 التحفة الوسيمة، ص09، وينظر الصفحات: 20، 23، 29، 37، 41. وينظر الصفحات: 20، 26، 28، 38، 42 من الكفاية، و الصفحات: ، 41،25،13، 45، 49.من المنحة، و الصفحات: 20، 29، 30، 31، 37.من الرحيق.

28 متن ألفية ابن مالك في النحو و الصرف، محمد ابن عبد الله بن مالك الأندلسي، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2002م ، ص10 .

29 التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص 8، وينظر الصفحات: ، 35، 36، 09، 37، وينظر الصفحات : 42، 25، 26، 37، 49، 71. من المنحة، والصفحات 20، 21، 22، 30، 38، 49، من الرحيق المختوم، والصفحات: 16، 17، 18، 19، 21.من كفاية المنهوم.

30 تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو، حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة.مصر، ط2، 2003. م، ص 11.

31 المطففين، الآية: 19.

32 التحفة الوسيمة، محمد باي بلعالم، ص 22 ، وينظر الصفحات : 11، 19، 23 ، 29، 30.

33 المصدر نفسه، ص 37.، وينظر الصحات : 78، 76، 84، 98، 110، 25 من الرحيق المختوم.

34 منحة الأتراب، ص48 ، وينظر الصفحات " 62، 63، 64، 69، 05، 12، 14، 29، 33، 46..

35 التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص 20.

36 منحة الأتراب، ص72. وينظر الصفحات: 92، 93، 96، 116، 117.

37 الرحيق المختوم، ص31.

38 المصدر نفسه، ص40، وينظر الصفحات: 44، 47، ، 49، 50، 51، والصفحات : 32، 30، 25، 10، 06 من التحفة، والصفحات : 149، 99، 40، 39، 30من المنحة، والصفحات : 95، 94، 85، 64، 59 من كفاية المنهوم.

39 ينظر: الصفحات: 09، 05، من التحفة، والصفحات: 11،26، 47، 49، 105 من الرحيق، و الصفحات: 11، 53، 66، 68، 77 من المنحة، والصفحات: 20، 16، 56، 76،67 من كفاية المنهوم.

40 ينظر: الصفحات: 05، 24 من التحفة، والصفحات: 13، 21، 36، 47، 53، من المنحة، والصفحات: 69، 105، 57، 59، 62 من كفاية المنهوم، والصفحات : 11، 16، 60، 55، 64، من الرحيق.

قائمة المصادروالمراجع

1. حسني عبد الجليل، تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة.مصر، ط2، 2003.
2. عبد الرحمان مصطفاوي، ديوان المتنبي، دار المعرفة، بيروت .لبنان، ط5، 2008م.
3. محمد باي بلعالم، التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، مطبعة عمار قرفي .باتنة .الجزائر،دط، دت.
4. محمد باي بلعالم، الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دط، دت.
5. محمد باي بلعالم، كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، دار الشهاب، باتنة.الجزائر، دط، دت.
6. محمد باي بلعالم، منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، دار الشهاب باتنة.الجزائر، دط ، دت.
7. محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، متن ألفية ابن مالك في النحو و الصرف، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2002م.
8. محمد بوزواوي، متون النحو و الصرف والإعراب، دار مدني، الجزائر، 2003م.